

القيم الأخلاقية للحياة الزوجية

(في ضوء الكتاب والسنة)

أ.د. فائق بنت حسن حلواني (*)

• المقدمة :

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. والصلاة والسلام
الأتمان الأكملان على سيدنا ونبينا وقدوتنا محمد وآله وصحبه.

وبعد،،،

فإنه لا يخفى أن في المجتمع لبنة إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا
فسدت فسد المجتمع كله وهي الأسرة.

ومن هنا نرى كثيراً من المصلحين في كل أمة من الأمم يوجهون
اهتمامهم بإصلاح تلك اللبنة. وإننا لنعجب ونحن نقرأ أ الأسرة المسلمة كانت
على مرّ الأزمان سبباً لنهضة الأمة وازدهارها ولكننا اليوم وبأ للأسف نجد
بعضاً من هذه الأسر سبباً لانحطاط الأمة وتأخرها إذ تنتج فرداً سقيماً خُلِقاً
واجتماعياً فضلاً عن انهيار الكثير منها في بداية طريق الحياة الزوجية أو
بعد قطع شوط منها.

ولعل أحد أهم الأسباب في انهيار الأسرة اليوم أو بقائها مع شقاء في
الحياة الزوجية هو غياب معيار لا تقوم الأمم إلا على أساسه ولا تزدهر
الحياة وبهنا العيش فيها إلا به وهو المعيار القيمي الأخلاقي الذي يضبط
سلوك الزوجين ويحكم العلاقات الإنسانية بينهما وبه تكون العشرة الطيبة بين
الزوجين على رضى من الله تعالى وتحقيق شرعه وتنشأ السكينة وتحقق

(*) أستاذ مشارك - قسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة

الملك عبد العزيز بجدة.

المودة فيكون المقصد من إنشاء الأسرة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١).

ومن هنا جاء هذا البحث وعنوانه القيم الأخلاقية للحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة، والذي يقوم على تأصيل للقيم الأخلاقية الأساسية بين الزوجين وما يتفرع عنها من أخلاقيات لو طبقت لاستدامت العشرة بين الزوجين بالمعروف بإذن الله.

وقد جاء هذا البحث في خمسة فصول:

الفصل الأول: القيمة الخلقية الأولى: الدين (الإسلام مرجعية الأسرة).

الفصل الثاني: القيمة الخلقية الثانية: حسن العشرة بالمعروف.

الفصل الثالث: القيمة الخلقية الثالثة: تحقيق المودة بينهما.

الفصل الرابع: القيمة الخلقية الرابعة: الرحمة أساس ودعامة للحياة الزوجية الهنية.

الفصل الخامس: القيمة الخلقية الخامسة: السكن (الانتماء الأسري).

والله أسأل أن أكون قد وفقت فيه للصواب وأن يحقق فيما كتبت شيئاً من النفع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

• الفصل الأول: القيمة الخلقية الأولى: (الإسلام مرجعية الأسرة):

الدين الإسلامي عقيدة وشريعة يقوم على توحيد الألوهية، وكل تشريعاته وتنظيماته تنبثق من هذا الأصل العظيم الذي جاء نوراً وهدى ورحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ

(١) سورة الروم: ٢١.

نُوراً مُبِيناً^(١). مشتقاً من تلك التشريعات والنظم الحياة كلها ما دقَّ وما عظم فيها، والاستسلام لهذه التشريعات هو مقتضى الإيمان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾^(٢). ومخالفة تلك التشريعات نفي للإيمان ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾^(٣).

ومتى ما استقر الإيمان في الأعماق استقرت معه تلك التشريعات التي تشكل منهاج الحياة! ومن ذلك منهج الزواج وما يتعلق به من أحكام وتشريعات ليكون الأساس والمبدأ في تكوين الأسرة التي يريدتها الله جل وعلا، وهي اللبنة في بناء المجتمع الإنساني الرباني.

فلا غرابة إذا أن يكون الزواج في حس المسلم شريعة يستقيم عليها، ومحراباً يتعبد لله فيه خاصة مع علمه أن عقد الزواج هو أغلظ المواثيق وأكرمها على الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾^(٤)، والميثاق الغليظ هو العهد المؤكد الذي يربط الرجل بالمرأة بأقوى رباط وأحكمه، وهو ما أمر الله به من الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان^(٥). ولو رُشِدنا إلى ما أحاطه به القرآن الكريم بدءاً من

(١) سورة النساء: ١٧٤.

(٢) سورة النور: ٥١.

(٣) سورة النساء: ٦٥.

(٤) سورة النساء: ٢١.

(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - د. وهبة الزحيلي (٣٠٠/٤) دار الفكر

المعاصر - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

الخطبة ثم المشاركة، ثم انتهاء هذا العقد سواء بالموت أو الانفصال لتبين أهمية هذا العقد عند الله وكرامته عليه، فهو نعمة من بها الله على عباده^(١).
 يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

والدليل على أن الله تعالى شأنه كرم هذا العقد أن كلمة ميثاق لم ترد في القرآن الكريم إلا تعبيراً عن المعاهدة بين الله وعباده. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَبِيًّا لِقَوْمِكَ وَوَدَّعَيْنَاكَ مِيثَاقَكَ الَّذِي وَافَقْتَ بِهِ﴾^(٣). في موجبات التوحيد، وهذا يبين لنا مقدار سمو هذا العقد. فإذا علم أن وصف الميثاق بالغليظ لم يرد في موضع من مواضعه إلا في عقد الزواج، وفيما أخذه الله على أنبيائه من موثيق من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾^(٤). لتضاعف لدينا سمو هذه المكانة التي رفع القرآن إليها هذه الرابطة السامية^(٥).

وهو أمر تؤكد السنة المطهرة كما في الحديث: «أحق ما أوفيت من الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج»^(٦).

إن الكتاب الكريم قد أحاط الزواج بكثير من العناية إذ تناولت آياته

(١) الأسرة في ضوء الكتاب والسنة - د. السيد أحمد فراج (ص ٥٩) دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٢) سورة الروم: ٢١.

(٣) سورة المائدة: ٧.

(٤) سورة الأحزاب: ٧.

(٥) تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت (ص ١٧٣-١٧٤) دار القلم - الطبعة الرابعة ١٩٦٦م.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٧/٩) باب الشروط في النكاح، من كتاب النكاح.

البيانات الكثير من الأحكام المتعلقة به؛ كالتنبيه على بعض العلاقات المحرمة كما في قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(١).

وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٢).

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْغُفْرَةِ بِإِذْنِهِ﴾^(٣).

﴿لِلزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

كما نبه على العلاقات المحللة كما في قوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً

(١) سورة النساء: ٢٢.

(٢) سورة النساء: ٢٣-٢٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٢١.

(٤) سورة النور: ٣.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيقَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴿١﴾.

﴿الْيَوْمَ أَحْلَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ﴿٢﴾.

ونبه على خصال مأمور بها ومستحبة:

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ ﴿٣﴾.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِيَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ ﴿٤﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوَاجَكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٥﴾.

(١) سورة النساء: ٢٤-٢٥.

(٢) سورة المائدة: ٥.

(٣) سورة النساء: ٣٤.

(٤) سورة التحريم: ٥.

(٥) سورة الأحزاب: ٢٨-٢٩.

وذكر الرضا المطلق والمتبادل وأنه ضرورة لعلاقة زوجية طيبة:

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾^(١).

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢).

وأشار إلى وجوب الصداق وأنه حق للمرأة:

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾^(٣).

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾^(٤).

وغيرها الآيات التي تناولت الكثير من التشريعات المتعلقة بالزواج، والتي يصعب حصرها في هذا المقام.

وأما السنة فإننا لا نجد مصنفًا من المصنفات التي جمعت أحاديث النبي ﷺ مبوبة على الأبواب الفقهية، إلا وقد تضمنت كتابًا عظيمًا في النكاح وأحكامه.

مما يزيدنا يقينًا أن أهم ما يميز الزواج في الإسلام كنظام لبناء الأسرة أن تشريعاته ربانية، لأن مصدرها الوحي المعصوم، من كلام الله تعالى

(١) سورة النساء: ١٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٢.

(٣) سورة النساء: ٤.

(٤) سورة المائدة: ٥.

وكلام رسوله ﷺ. وهذه الميزة تجعل المسلم يربط كل حركاته وسكناته وعواطفه في الزواج وفق ما يرتجيه من رضوان الله تعالى معبراً بذلك عن عبوديته له، فهو يلاحق هدفا مهما من الزواج، وما أهدافه الأخرى منه إلا سعى لبلوغ الهدف الأسمى تحقيقاً له، يقول النبي ﷺ: «... وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(١).

إن هذه الميزة (الربانية) ذات أثر واضح وجلي في الزواج فلا صورة مقررة لبناء الأسرة إلا التي قامت على نكاح صحيح بين رجل وامرأة بأركانها وشروطه، وما سوى ذلك من الصور مرفوض قطعاً، ليس ذلك فحسب بل إنها تسيّر أحكام الزواج وفق شريعة الإسلام فلا مجال للأعراف والتقاليد والأهواء أن تسيّر أمر الزواج عند الاتفاق أو الاختلاف، وإنما إذعان لحكم الله تعالى ورسوله ﷺ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٢).

كما أنها تجعل الزواج قائم على القيم الإيمانية والأخلاق الإسلامية التي ترفع الإنسان لأرقى مستوياته الإنسانية، وهذه القيم لم تنشأ من تراكمات الماضي ولا الحاضر ولا تحكمها النزاعات الشخصية ولا تراكم الخبرات وتطور النظم وإنما هي في أصولها ثابتة ثبات النص الشرعي الذي يدل عليها، والتي لو طبقها الناس فإنها قادرة بإذن الله تعالى على إيجاد الأرضية

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

المشتركة بين الزوجين وردم كثير من الفجوات، وتقريب المسافات وإيجاد التقارب بين المختلفين والدمج بين الشخصيات المختلفة في الأنماط والسلوك لأن الإيمان حينها هو الذي يجمعها ويوحدتها، وما أجمل الدمج الذي بينه تعالى لشرائع مختلفة إلا أنهم ما داموا يرجعون إلى دائرة الإيمان فإنه الإطار الذي يوحدهم^(١) قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢).

وإن المنهج الرباني لا يكتفي بتوضيح ما علينا أن نفعله ليكون الزواج ناجحاً بل يعلمنا كيف نجعل النجاح فيه مشروعاً متاعماً متسقاً مع نجاحاتنا المختلفة في الحياة لبلوغ النجاح الأخروي لأنه يعلمنا أننا خلقنا لرسالة وغاية في كل عمل نأتيه أو سلوك نفعله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣).

إن الشباب اليوم بحاجة ماسة إلى مربين يسهمون بشكل فاعل في إعادة الإحساس بمسائل الحلال والحرام لمكانتها في النفوس وإرشادهم إلى ما نبيه إليه المنهج الرباني والذي تناول الزواج بكل تفصيلاته ابتداء من التكوين والاختيار مروراً بتفصيلات وتفرعات مختلفة ليبلغ به درجة الرشد ول يؤكد أن الخيرية باقية للأسرة المسلمة ببقاء هذه الشرعية السمحاء التي تقوم على الحكمة والعدل والخير والإصلاح والإنصاف لكل من الزوجين وتكرمه بهذه العلاقة المقدسة التي تربط بينهما في ظل الإيمان الوارف.

(١) من أجل انطلاقة حضارية شاملة - د. عبد الكريم بكار (ص ١٥٢ وما بعدها -

باختصار) دار القلم - دمشق - الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

(٢) سورة فاطر: ٣٢.

(٣) سورة الذاريات: ٥٦.

وإننا لنعجب حقاً من أناس يسمعون قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١) ثم يظنون أنهم بالمخالفات التي يرتكبونها ابتداء من الخطبة وحفل الزواج ثم يرجون التوفيق في حياتهم الزوجية ناسين أو متناسين أن الإعراض عن شرع الله تعالى يورث العيش النكد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٢).

• الفصل الثاني: القيمة العقلية الثانية: حسن العشرة بالمعروف:

إن هذه القيمة الأخلاقية هي الدعامة الرئيسية بعد الاستمسك بالدين القويم لقيام الحياة الزوجية الهانئة، وقد أمر الله تعالى بها في قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣). أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة والخطاب للجميع^(٤). والمعاشرة هي المخالطة والممازجة، فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقد الأزواج عليهن لتكون أدمه ما بينهم وصحبتهن على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش، وهذا واجب على الزوج^(٥). وهو كذلك واجب على المرأة وهي مطالبة به، لذلك جعلت الآية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

(٢) سورة طه: ١٢٤-١٢٦.

(٣) سورة النساء: ١٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان - أبي عبد الله محمد

القرطبي (١٥٩/٦) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(٥) المرجع السابق (١٥٩/٦-١٦٠).

خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^(١). إذ جعلت ما بينهما متبادلاً لتحقيق الطمأنينة فينعيم بها الجميع، وتأكيداً لهذه السكينة اعتبر الله تعالى كل واحد من الزوجين كاللباس بالنسبة للآخر ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ﴾^(٢). فكما أن اللباس يستر الإنسان ويحيمه من البرد والحر فكذلك الزوجان كلاهما مضطر للآخر وقائم بستره^(٣).

وقد جاءت وصيته ﷺ بحسن العشرة للمرأة: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهم خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»^(٤). وهذه الوصية منه ﷺ تبين أن من حسن العشرة تحمل الأخطاء الواقعة منها، والغض عن هفواتها، بل واحتمال الأذى منها، وأن يتغافل عن كثير مما يصدر منها: «مما لا يخالف شرع الله تعالى» ترحماً بها وشفقة عليها، وأن يقدم لها النصيح مع التصبر ما استطاع إليه سبيلاً، قال رسول الله ﷺ: «أن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون»^(٥).

فإن كان أحد أحق بحس خلق الرجل فهو زوجته «أقرب الناس إليه»

(١) سورة الروم: ٢١.

(٢) سورة البقرة: ١٨٧.

(٣) المجتمع والأسرة في الإسلام - د. محمد طاهر الجوابي - دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٣/٦) باب الوصاة بالنساء، من كتاب النكاح.

وأخرجه مسلم في صحيحه (١٠٩١/٢) باب الوصية بالنساء، من كتاب الرضاع.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٩/٦).

فهي موضع هنائه وسروره، وموئل مودته وإسعاده، وهذه المعاملة الحسنة مع الزوجة تعكس جو الصفاء على البيت فيهنأ فيه جميع من فيه من أبناء وبنات.. ومما يلزم الزوج إدراكه أنه أقدر على تحمل الأذى من زوجته، فالمرأة عاطفية «سريعة الانفعال» فهي إلى المغاضبة أسرع من زوجها، وسرعة انفعالها بالغضب يدفعها إلى نكران محاسن زوجها وأفضاله عليها، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأيت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط»^(١).

وهذه طبيعة غالبية في النساء، فليزِم الزوج عدم المسارعة إلى الغضب على زوجته ساعة انفعالها، وعلى الأخص في الأيام التي تقترب من عادتها الشهرية، فإنها تتعرض إلى الاضطرابات الهرمونية قبل فترة الحيض بيوم أو يومين، وتستمر فيها إلى الأيام الأولى منها، فإذا أدرك الزوج ذلك كان أقدر على تحمل زوجته، وأحسن حيلة على إرضائها، لإعانتها على اجتياز مرحلة الاضطراب المتكررة شهريا.

وليعلم الزوج أن تكلفة مع زوجته دائما - في السراء والضراء - خير ما يقدمه لأولاده، من الهدوء والاستقرار والتفاهم والوفاق والتعاون، الذي يعتبر الأساس القوي في بناء الأسرة بناء متماسكا قائما على الخير والبر والتقوى!!^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٦/٣) باب صلاة الكسوف، من كتاب أبواب الكسوف. وأخرجه مسلم في صحيحه (٨٨/٨) باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، من كتاب الرقاق.

(٢) بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة - خالد العك (ص ١٠٠-١٠١) دار المعرفة - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م.

ومن هنا نقول إن حسن العشرة لا يتحقق إلا بأمور منها:

أولاً: الوفاء بالحقوق الزوجية كلا منهما للآخر.

فإن قيام كل منهما بما هو مناط به سبيل لاستقامة الحياة الزوجية وإيجاد الألفة وهي التي تحمي الحياة بإذن الله وتضمن استمرارها لتحقيق الغاية من الزواج، وذلك بأن شرع لكل منهما حقوقاً هي واجبات على الآخر، هذه الحقوق التي استغرقت أبواباً عديدة في كتب الفقه وإضافة إلى مؤلفات انفردت بها، وسأتناول بعضاً من هذه الحقوق وذلك على النحو التالي:

أ. الحقوق المشتركة بين الزوجين.

فبين الزوجين حقوق مشتركة أهمها:

١. حسن الاختيار:

لما كان الزواج عقد يتصف بالدوام، فهو عقد الحياة وليس اختياراً لسلعة بل اختيار لحياة مشتركة لها آثارها الممتدة من الإقضاء وتقاسم المشاعر وعلاقة المصاهرة وإنجاب الأولاد.. فالاختيار الحسن بعد توفيق الله تعالى والقائم على ما حددته الشريعة يكفل للحياة الزوجية بإذن الله الاستقرار والنجاح، فضلاً عن أن الاختيار الناجح سبب للعشرة الصالحة التي يقطع بها الزوجان رحلة الحياة بهدوء واطمئنان. كما أن الزوجان الصالحين عليهما تربية النشء وإخراج جيل صالح^(١).

ومن هنا حث الإسلام على حسن اختيار الرجل للزوجة التي يريد

(١) نظام الأسرة في الإسلام - د. محمد عقله (ص ١١٥-١١٧) باختصار وتصرف -

الجزء الأول - مكتبة الرسالة الحديثة - الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

الارتباط بها وأنه لابد أن تكون من منشأ طيب، ففي الحديث: «تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم»^(١).

وأن تكون ذات دين وخلق يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾^(٢)، وعن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال: «تتكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»^(٣). وهذا هو الإسلام الذي يعلم أتباعه هذه القيمة الأخلاقية النظر إلى الجوهر قبل النظر إلى المظهر فالدين والخلق والمنشأ الطيب هو المعيار الأساسي.

صحيح أن هناك معايير أخرى قد يتفق الناس عليها وقد يختلفون في مستويات وجودها لكن يبقى المعيار الأساسي الدين والخلق.

وكما أن حسن الاختيار حق للرجل فإنه كذلك حق للمرأة ففي الحديث: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»^(٤).

فهذه وصية من رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه لبيان المعيار الذي تقيس به المرأة الخاطب ثم لها بعد ذلك المعيار وضع غيره من المعايير التي تراها ووليها معتبرة في الكفاءة.

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير (١/١٣٠) وقال حديث صحيح.

(٢) سورة البقرة: ٢٢١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/١٣٢) باب الأكفاء في الدين، من كتاب النكاح. وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٠٨٦) باب استحباب نكاح ذات الدين، من كتاب الرضاع.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣/٣٩٤) باب: ما جاء إذا جاءكم من ترضون... من كتاب النكاح.

٢. إعفاف كل من الزوجين للآخر:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِزُجُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(١) وهو حق مشترك لا يمنع منه أحد الزوجين الآخر ولأحدهما فسخ عقد الزواج إن كان في الآخر مانع منه ومن هنا حرم الإسلام على الرجل أن يعتمد هجر الزوجة وإرهاقها، فهو مأمور بأداء حقها، حتى إن الشريعة تقرر أن الزوج لو حلف أن لا يقرب زوجته يلزمه أن يحنث في يمينه^(٢).

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وقد أكدت السنة المطهرة هذا الحق للمرأة فأوصت الرجل أن لا يجهد نفسه في العبادات حتى يضعف عن القيام بحق المرأة فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال لعبد الله بن عمرو: «يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك قحا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا»^(٤).

(١) سورة المؤمنون: ٥-٦.

(٢) حقوق الإنسان في الإسلام - د. راوية الظاهر (ص ٢٥٤) دار المحمدي للنشر والتوزيع - جدة - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٦-٢٢٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٧/٤) باب: حق الجسم في الصوم، من كتاب الصوم، وأخرجه مسلم في صحيحه (٨١٢/٢) باب: النهي عن صوم الدهر، من كتاب الصيام.

وقد بيّن الرسول ﷺ أن للرجل أجر في إتيان زوجته فقد قال ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(١).

وحق الإغفاف كما هو مصان للمرأة فهو مصان للرجل إذ أوصى النبي ﷺ المرأة أن تلبى زوجها كلما دعاها وإن لم يكن لديها الميل إليه إلا أن يكون قمة عذر مانع يمنعها^(٢)، ففي الحديث: «إذا باتت المرأة، هاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة حتى تصبح»^(٣).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها»^(٤).
ومن حق الزوج ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه لتمكنه من حقه إذا أراد.
يقول الرسول ﷺ: «لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه»^(٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٩٧/٢) باب: أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، من كتاب الزكاة.

(٢) حقوق المرأة وواجباتها - د. فاطمة نصيف (ص ٢٤٢) مطبعة المدني - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٩٥/٢) باب: تحريم امتناعها من فراش زوجها، من كتاب النكاح.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٦٠/٢) باب: تحريم امتناعها من فراش زوجها، من كتاب النكاح.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٤/٩) باب: صوم المرأة بأذن زوجها تطوعاً، من كتاب النكاح.

٣. قيام كل منهما بمسؤولياته:

فمن الحقوق المشتركة أن يقوم كل منهما بمسؤولياته المناطة به من غير تقصير لقوله ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»^(١).

٤. عدم إفشاء السر وكشف العيب:

فعلى الزوج أن لا يُفشي سرها كما لا تُفشي هي سره فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته تفضي إليه ثم ينشر سرها»^(٢).

يقول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: «وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل أو نحوه»^(٣)، وهما في الحكم سواء لأنهما مكلفان شرعاً.

٥. التناصح والتعاون فيما بينهما على البر والتقوى:

فالواجب على المسلم كما أمره الله عز وجل أن يعمل على أن يقي نفسه وأهله وزوجته النار إذ قال في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

(١) أخرجه البخاري في شرح السنة (٦١/١٠) وقال صحيح - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٢) ذكره الشيخ الألباني في آداب الزفاف (ص ٦١) دار الفكر - بيروت.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٠/٨) المطبعة المصرية الأزهرية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾.

قال ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس: «اعملوا بطاعة الله واتقوا المعاصي وأموا أهلكم بالذكر ينجيكم الله من النار. وقال مجاهد: اتقوا الله وأوصوا أهلكم بتقوى الله. وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فإذا رأيت معصية الله فرعتهم عنها وزجرتهم عنها. وهكذا قال الضحاك ومقاتل حق المسلم أن يعلم أهله وقرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه» (٢).

وكما يطالبه القرآن القيام بهذه المسؤولية فإن السنة لتؤكد أنها مسؤولية مشتركة بينهما وأن على المرأة كما هو على الرجل أن تأمره بالمعروف وتنبه على الخير والاستزادة منه يقول النبي ﷺ: «رحم الله وحلا قام من الليل فصلى، ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء» (٣).

(١) سورة التحريم: ٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢٩/٤) المكتب الإسلامي - لبنان - الطبعة الأولى.

(٣) أخرجه النسائي في سننه (٢٠٥/٣) باب: الترغيب في قيام الليل، من كتاب قيام الليل وتطوع النهار.

ب. حقوق الزوجة.

للزوجة في الإسلام حقوق كثيرة أهمها:

١. الرضا التام بالخاطب كشرط لصحة العقد:

فمع أن الإسلام قد جعل من أركان الزواج الصحيح رضا الولي لقوله ﷺ: «أيم امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل»^(١).

غير أنه ينبغي أن نعلم أن هذا الشرط لصحة العقد إنما كان مراعاة لمصلحة المرأة إذ قد يخفى عليها حقيقة الخاطب أو قد تتدفع وراء عواطفها فيأتي الولي هنا كقائد وناصر، غير أن اشتراط السنة كذلك رضا المرأة أمان من تزويجها بمن تكره وإن رضيه لها وليها.

فعن أبي هريرة ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنكح الثيب حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن وإذنها صماتها» وقال أيضاً: «لا نكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت»^(٢).

والأيم: هي الثيب التي طلقها زوجها أو مات عنها.

والاستئمار: طلب الأمر. فلا يصح زواجها إلا بأمرها ورضاها.

والبكر: هي التي لم يسبق لها الزواج. وهي أيضاً لا يصح زواجها إلا

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٦٦/٢-٥٦٨) باب في الولي، من كتاب النكاح. وأخرجه

ابن ماجه في السنن (٦٠٥/١) باب: لا نكاح إلا بولي، من كتاب النكاح. وأخرجه

الحاكم في مستدركه (١٦٨/٢) وقال صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٩/١٢) باب النكاح، من كتاب الحيل. وأخرجه

مسلم في صحيحه (١٠٣٦/٢) باب استئذان الثيب في النكاح، من كتاب النكاح.

بعد استئذانها ورضائها، وإذا لم تنطق فيكفي في معرفة ذلك السكوت دليل الرضا، وفي أغلب الأحيان يمنع الحياء الشديد الأبكار من النطق والتصريح. وجاء في صحيح مسلم ما نصه: عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الأيّم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإنها صماتها؟» قال: نعم - وفي رواية قال: وصمتها إقرارها»^(١).

يقول الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: «واعلم أن لفظة (أحق) هنا للمشاركة، معناه أن لها في نفسها في النكاح حقاً ولوليها حقاً وحققها وأكد من حقه، فإنه لو أراد تزويجها كفؤاً وامتنعت لم تجبر ولو أرادت أن تتزوج كفؤاً فامتنع الولي أجبر، فإن أصر زوجها القاضي، فدل على تأكيد حقها ورجحانه.

أما قوله ﷺ في البكر: «ولا تتكح البكر حتى تستأذن»، فاختلّفوا في معناه: فقال الشافعي وابن أبي ليلى وأحمد وإسحاق وغيرهم: الاستئذان في البكر مأمور به فإن كان الولي أباً أو جداً كان الاستئذان مندوباً إليه، ولو زوجها بغير استئذانها صح لكمال شفقتها، وقال الأوزاعي وأبو حنيفة وغيرهما من الكوفيين: يجب الاستئذان في كل بكر بالغة. أما قوله ﷺ في البكر: (إنها صماتها)، فظاهرة العموم ف يكل بكر وكل ولي، وأن سكوتها يكفي مطلقاً وهذا هو الصحيح، أما الثيب فلا بد فيها من النطق بلا خلاف سواء كان الولي أباً أو غيره»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٣٧/٢) باب استئذان الثيب في النكاح، من كتاب النكاح.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٥٨٥/٣).

هكذا نرى أن للمرأة - ثيباً أو بكراً - كمال الحرية في رفض من لا تريده ولا حق لأبيها أو وليها أن يجبرها على من لا تريده. فإذا عقد ولي الثيب دون أن تستأمر أو البكر دون أن تستأذن فالعقد موقوف إلا إذا امضيته^(١).

وهذا ما يدل عليه صريح الحديث الشريف فقد روي البخاري: «عن خنساء بنت خدام الأنصارية، أن أباهاً زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأنت رسول الله ﷺ «فرد نكاحه»»^(٢).

وروى ابن ماجه عن أبي بريدة عن أبيه قال: (جاءت فتاة إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه، ليرفع بي خسيسته، قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء)^(٣).

فالإسلام إذا يضمن للمرأة حق القبول والرفض فهذه أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ترد خطبة عمر وتقول لأختها عائشة رضي الله عنها حين قالت لها أتردين أمير المؤمنين: إنه خشن العيش شديد على النساء^(٤).

(١) حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة - د. فاطمة نصيف (ص ١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠١/٩) باب: إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود، من كتاب النكاح.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (٦٠٢/١) باب: من زوج ابنته وهي كارهة، من كتاب النكاح. وإسناده صحيح.

(٤) المرأة بين الدين والمجتمع - د. زيدان عبد الباقي (ص ١٣٢) مكتبة النهضة المصرية.

٢. حقها في النفقة:

بين الله تعالى أن قوامه الرجل للمرأة أحد أسبابها الإتفاق عليها قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(١).

وكذلك فإن السنة أشارت إلى أن من حق الزوجة على زوجها أن ينفق عليها بلا تقتير ولا تبذير فالتقدير يسيء إليها وينفرها، والتبذير يطغيها ويرديها^(٢)، فقد سأل معاوية القشيري رحمته الله النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»^(٣).

ويقول أيضا عليه الصلاة والسلام: (اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»^(٤).

فأي كرامة للمرأة وأي إغزاز ورعاية تلك التي يكرمها ويصونها ويعزها ويرعاها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوصي المؤمنين بالمرأة ويوجب عليهم نفقتها وكسوتها بلفظ صريح بليغ موجز^(٥).

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) بناء المجتمع الإسلامي ونظمه - د. نبيل السمالوطي (ص ١٠٨) دار الشروق للنشر والطباعة - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٦٠٦/٢) باب في حق المرأة على زوجها، من كتاب النكاح. وقال الألباني في تخريج المشكاة (٩٧٢/٢) إسناده حسن.

(٤) أخرجه الطبري في التاريخ الكبير (١٦٨/٣)، وذكره ابن هشام في سريته (٣٩٠/٢).

(٥) حقوق المرأة وواجباتها - د. فاطمة نصيف (ص ٢٠٣).

بل إن النبي ﷺ ليقضي بما هو أبعد في حق النفقة للمرأة إن كان زوجها شحيحاً لا ينفق عليها أو يمتنع عن النفقة. ففي الحديث الذي رواه السيدة عائشة رضي الله عنها أن هذا زوجة أبي سفيان قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك، بالمعروف»^(١).

قال ابن حجر: «إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف لأنه دلّ على جواز الأخذ لتكملة النفقة فكذا يدل على جواز أخذ جميع النفقة عند الامتناع»^(٢) والشرع يلزم الرجل فإذا امتنع ورفض الإنفاق كان للزوجة الحق في أن تطلب أمام القضاء تطبيقها منه بعدم الإنفاق»^(٣).

٣. حقها في الملاطفة والمداعبة في اعتدال:

فإن في ذلك تطيباً لقلب الزوجة وتحقيق السكن والمودة لها، وقد كان عليه الصلاة والسلام يمزح مع نسائه ويتنزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق، قالت عائشة رضي الله عنها: (سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلما حملت اللحم سابقني فسبقني، وقال: هذه بتلك)^(٤).

ويقول عليه الصلاة والسلام: (كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١٨/٩)، باب: إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه، من كتاب النفقات.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٥٠٧/٩).

(٣) المغني لابن قدامة (٢٤٣/٩) دار المنار - القاهرة - الطبعة الثالثة.

(٤) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في رياضة الأبدان (ص ١٩).

أن يكون أربعة، ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشى الرجل بن الفرضين، وتعليم الرجل السباحة^(١).

٤. العدل في القسم بين أكثر من زوجة:

إذا كان للرجل زوجتان أو أكثر وجب عليه أن يعدل بينهما في المبيت وفي النفقة وفي المسكن فإن ظلم امرأة فلم يبيت عندها ليلة أو أكثر وجب عليه أن يقضيها حقها، فذلك دين عليه لها إلا أن تتنازل عنه، فقد ثبت أن السيدة سودة زوج النبي ﷺ تنازلت عن ليلتها ووهبتها لعائشة رضي الله عنهما^(٢).

وكذلك إن أعطى واحدة دون الأخرى من ماله فإنه يعتبر ظالماً سواء كان العطاء في صورة نقدية، أو ملابس، أو حلية أو غيرها، والنفقة تشمل المسكن والملبس والمطعم، وبالجملية: كل ما يمكنه العدل فيه فإن العدل واجب عليه، وما لا يمكنه العدل فيه بالطبيعة فلا حرج عليه فيه، وذلك مثل الميل إلى واحدة أكثر من الأخرى، ومثل الرغبة في الاتصال الجنسي، فإنها قد تكون مع واحدة أكثر من الأخرى، فإن ذلك راجع إلى طبع الإنسان وميله، ولا يستطيع إنسان التحكم فيه^(٣).

ولقد كان ﷺ مثالا يُحتذى به في العدل بين نسائه في العطاء والبيتوتة

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩٣/٢) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٩/٥): رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٣/٩) باب: المرأة تهب يوماً من زوجها لضررتها، من كتاب النكاح.

(٣) السلوك الاجتماعي في الإسلام - حسن أيوب (ص ٢١٣) مكتبة دار المهاجرين للطباعة والشر.

يقول ﷺ: (اللهم هذا قسمي، فيما أملك فلا تلمني، فيما تملك، ولا أملك)^(١).
ولقد حذر ﷺ الزوج من أن يظلم إحدى زوجاته فقال: (من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي رواية ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل)^(٢).

وأما احتجاج البعض بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾^(٣)، فالمراد منه العدل المطلق وذلك ليس في طوق البشر، وقال بعضهم أي تعدلوا في الميل القلبي وأما العدل في سائر شؤون العشرة فواجب.

ج. حقوق الزوج.

وللزوج في الإسلام حقوق كثيرة أُقرّت له أهمها:

١. طاعته بالمعروف:

وهو أولى الحقوق أن تطيعه إذا أمرها بالمعروف فتلك صفة المؤمنات القانتات يقول النبي ﷺ حين سئل أي النساء خير؟ قال: (التي تسره إذا نظر،

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٦٠١/٢) باب: في القسم بين النساء، من كتاب النكاح.
وأخرجه ابن ماجه في سننه (٦٣٣/١) باب: القسمة بين النساء، من كتاب النكاح.
وأخرجه الحاكم في المستدرک (١٨٧/٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤٧/٧، ٤٧١) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٩٧/٧) وأخرجه الحاكم في المستدرک (١٨٦/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٣) سورة النساء: ١٢٩.

وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره^(١)، ويقول عليه الصلاة والسلام مقيدا هذه الطاعة: (لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف)^(٢)، قال ابن حجر تحت باب (لا تطيع المرأة زوجها في معصية): «إن نذب المرأة إلى طاعة زوجها في كل ما يرد منه خصص ذلك بما لا يكون فيه معصية الله، فلو دعاها الزوج إلى معصية فعلها أن تمتنع»^(٣).

هذه الطاعة إن تحققت من المرأة لزوجها أكسبتها خير الآخرة ففي الحديث: (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة)^(٤).

٢. لا تدخل بيته إلا بإذنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه)^(٥).

٣. المحافظة على مال زوجها:

على الزوجة الحفاظ على مال زوجها بحيث لا ترهقه بما لا يستطيع مما يضطره للاستدانة، كذلك يجب ألا تنصرف في ماله إلا بإذنه، قال عليه الصلاة والسلام: (لا يجوز لامرأة عطية، إلا بإذن زوجها)^(٦).

(١) أخرجه النسائي في سننه (٦٨/٦) باب: أي النساء خير، من كتاب النكاح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٦٥/٣) باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، من كتاب الإمارة.

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٣٠٤/٩).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٧٤/٢٣) وأخرجه الحاكم في المستدرک (١٧٣/٤) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٣/٤).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٧٩/٢).

٤. عدم الخروج من منزل زوجها إلا بإذنه:

ففي الحديث: (أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سخط الله تعالى حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها).

٥. ومن حق الزوج أن تقوم المرأة بإدارة بيتها ورعايته والقيام بكل ما من شأنه العناية بمن فيه مبتغية الأجر من الله تعالى:

وقد ضربت فاطمة رضي الله عنها وهي بنت رسول الله ﷺ المثل في معاونة الزوجة لزوجها، فكانت تقوم بخدمة بيتها بنفسها حتى لحقها من ذلك الألم الشديد.

فقد روى البخاري: (أن فاطمة عليها السلام أتت تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى).

وفي رواية أخرى: (أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تسأله خادما، فقال: «ألا أخبرك ما هو خير لك منه؟ تسبحين الله عند منامك ثلاثا وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثا وثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين»^(١)).

فلما جاءت تشكو إلى أبيها ورسولها ﷺ ما تلقى في يدها من الرحى لم يأمر زوجها علي بن أبي طالب ﷺ بأن يكفيها ذلك، إما بإخدامها خادماً أو باستئجار من يقوم بذلك أو يتعاطى ذلك بنفسه ولو كان كفاية ذلك إلى «علي» لأمره به كما أمره أن يسوق إليها صداقها قبل الدخول مع أن سوق الصداق ليس بواجب إذا رضيت المرأة أن تؤخره، فكيف يأمره بما ليس بواجب عليه ويترك أن يأمره بالواجب؟ وإن كان ابن بطال حكى أن بعض الشيوخ قال: لا نعلم في شيء من الآثار أن النبي ﷺ قضى على فاطمة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١٦/٩) باب: خادم المرأة، من كتاب النفقات.

بالخدمة الباطنة، وإنما جرى الأمر بينهم على ما تعارفوه من حسن العشرة وجميل الأخلاق^(١).

أولاً: الصبر والحلم.

الصبر والحلم قوة خلقية تنبع من الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه في المواقف التي تحتاج إلى ثبات ولما كانت الحياة بين الزوجين قد يعترىها كثير من الآلام والمتاعب والمشقات واختلاف الأمزجة والطباع فإن كلا من الزوجين بحاجة إلى الصبر والحلم لتحمل ما قد يصادفان من الأحداث أو كلا منهما من الآخر، فيتمكن من ضبط النفي عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل والعجلة والرعونة والغضب والطيش والخوف والأهواء والغرائز.

وبهما يتمكن الإنسان من وضع الأشياء في مواضعها. التصرف بعقل واتزان وتنفيذ الأصلح في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة الحكيمة وملزمة الصبر في كل حال مطلب قرآني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

فالزوجان قد يمران بحالة ابتلاء وعند ذلك على أحدهما تذكير صاحبه بالصبر على البلاء وذلك من الإيمان بقضاء الله ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٣).

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مع زوجاته أروع الأمثلة في الصبر على

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤١٦/٩).

(٢) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٣) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.

شظف الحياة، وقلة ذات اليد فيما لا يمكن دفعه بعد محاولة السعي، فقد كان يمر الشهر والهران لا توقد النار في بيت رسول الله ﷺ وكان طعامهم الأسودان التمر والماء.

وقد كان ﷺ في كثير من المواقف مع زوجاته يُعلم الأمة أن الصبر والحلم والحكمة خير علاج لكثير من المواقف التي لو عامل فيها بخلاف الصبر والحلم وحاسب الزوجة على كل ما يصدر منها لما استقامت حياة إحداهن معه. ومن تلك المواقف أنه خرج ﷺ ليلة من عند عائشة؛ لغاية نبيلة؛ فحدثتها نفسها أنه يتركها في ليلتها ليأتي بعض نسائه فخرجت تتبعه من حيث لا يشعر، فإذا هو قد ذهب إلى البقيع، يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء. قال عائشة: قلت في نفسي: بأبي أنت وأمي!! أنت في حاجة ربك، وأنا في حاجة الدنيا؟ فانصرفت فدخلت حجرتي ولي نفس عال، ولحقني رسول الله ﷺ فقال: (ما هذا النفس يا عائشة؟) فقلت: بأبي أنت وأمي!! أتيتني فوضعت ثوبيك ثم لم تستم أن قمت فلبستهما، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعش صويحباتي، حتى رأيته بالبقيع تصنع ما تصنع؟ فقال ﷺ - وقد أعجبته صراحتها، وحديثها عن غيرتها لفرط محبتها له: (يا عائشة!! أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟) قالت: مهما يكتم الناس فقد علمه الله عز وجل؟ قال: (نعمن) ثم قال: (فإن جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، فناداني، فأخفى منك، فأجبتَه فأخفيتَه منك، وظننت أنك قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فأمرني أن آتي أهل البقيع فاستغفر لهم).

فما أن استبان لها الأمر، حتى هدأت نفسها، وتغير موقفها، وانطلقت

تسأل الرسول ﷺ: ماذا أقول للموتى إذا زرتهم؟.

فقال ﷺ: (قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المتقدمين منا والمتأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون)^(١).

وفي رواية أخرى: (قالت: فغرت عليه أن يكون أتى بعض نسائه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: (أغرث؟) فقلت: وهل مثلي لا يغار على مثلك؟ فقال: لقد جاءك شيطانك. قلت: أومعي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم. قالت: ومعك؟ قال: نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم؟)^(٢).

وتزوج ﷺ إحدى الكنديات، ووفدت إليه ليبنى بها، وفعلت الغيرة فعلها لدى أمهات المؤمنين: عائشة وحفصة، وغيرهما. فقرران أن يحلن بين الرسول ﷺ وبينها بعد أن قالت عائشة: لقد وضع يده في الغرائب يوشكن أن يصرفن وجهه عنا، واتفقن على خطة يصلن من ورائها إلى ما يبتغيين. وفدت العروس، فاستقبلها مهنئات، ثم تظاهرن لها بالإخلاص والحب، فأسدين لها النصيحة أن تستعيز بالله حين يدخل عليها النبي ﷺ حتى يرضى عنها أيما رضا، ويقبل عليها أيما إقبال. وما أن فعلت المسكينة - غير شاعرة بالمكيدة - حتى حول النبي ﷺ عنها وجهه قائلاً: (لقد عذت بمعاذ)^(٣).

ثم غادرها من فوره وأمر أن تلحق بأهلها، وما أن انكشفت الخدعة، حتى حاولت المرأة، أو حاول أبوها أن يبدي للرسول ﷺ عذرها، وأن يعيدها

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٦٧٠/٢) باب: ما يقال عند الدخول على أهل القبور، من كتاب الجنائز.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٧/١). والطبراني في المعجم الكبير (١١٠/١٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٥٤).

إلى شرف عصمته ﷺ، ولكن بعد أن انتهت فيعها الرغبة من قلبه ﷺ.

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرهما لا يجبر

فهل إلى مرد من سبيل؟..

وبقي أمر صواحب الغيرة نافذا؟!.

إن الغضب - حينئذ - لن يصل ما انقطع، ولن يرأب ما انصدع، فما

إليه اتجاه، وإذن فما جدواه؟! (١).

وقدر الرسول ﷺ دوافعهن، ثم تذكر ما كان من كيد امرأة العزيز

ليوسف عليه السلام، فما زاد على أن تبسم وهو يقول: (إنهن صواحب

يوسف، وإن كيدهن عظيم!...) (٢).

ثانياً: الاحترام الزوجي.

الاحترام والتقدير منهج وسلوك يعمل به الشرفاء، ولهذا أمرنا الله تعالى

بتعظيمه فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ (٣). ومن

عظم الله وقدره حق قدره تدرب على تقدير عباده بإنزالهم منازلهم

والاعتراف بحقهم وقدرهم. فالناس منازل أنزلهم الله إياها وقد قيل: «أنزلوا

الناس منازلهم».

وقد أوصانا رسولنا بالاعتراف بشرف الكبير واحترام الصغير ورحمته

(١) بناء الأسرة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة - خالد العك (ص ٩١) دار المعرفة -

بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٢) الحديث بتمامه أخرجه مسلم في صحيحه (٣١٥-٣١٦) باب: استخلاف الإمام إذا

عرض له عذر من مرض أو سفر، من كتاب الصلاة.

(٣) سورة نوح: ١٣-١٤.

فيقول: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا) ^(١).

والحكمة الصينية تقول: حب البشر دون احترام يعني اعتبارهم حيوانات مفضلة، وإطعامهم دون حب يعني معاملتهم كحيوانات حقيرة.

إن الأمم الراقية كما يقرر الحكماء لم ترتفع إلا بالعمل وباحترام ما يعمله أفرادها.

يقول الشيخ جاسم المطوع: كل شخص يولد على الأرض مكتوب على جبينه من فضلك اجعلني أشعر أنني مهم ^(٢).

للإحترام الزوجي علامات ومقاييس منها عدم استهزاء كل منهما بالآخر وأخذ رأييه وتقديره والمساواة بينهما في المطعم والمأكّل والمشرب والحاجات الخاصة والوقت والحب والحماية والصبر والتكيف والتقدير ^(٣) وفي حياة رسولنا ﷺ نلمح أروع الأمثلة في تقديره لزوجاته واحترام شخصياتهن وعدم الحرج منهن أمام الناس، بل الاعتزاز بهن ومن ذلك ما روي عن صفية رضي الله عنها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تتقلب، فقال النبي ﷺ يقلبها حتى إذا بلغت المسجد عند باب أم سلمة، مر رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: (على رسلكما، إنها صفية بنت حيي). فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث (٣٥٥) وله عدة طرق. وأخرجه أحمد في المسند (٢٠٧/٢) والحديث صحيح بمجموع طرقه.

(٢) زوجات النبي ﷺ في الواقع المعاصر - جاسم المطوع (ص ٢٩٢٩-٢٩٣) باختصار وتصرف - مؤسسة اقرأ للطباعة والنشر - الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٣) المرجع السابق.

ﷺ: (إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً)^(١).

وعن أنس ؓ قال: ثم خرجنا إلى المدينة (قادمين من خيبر) فرأيت النبي ﷺ يحوي لها (أي لصفية) وراءه بعباءة، ثم جلس عند بغيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب^(٢).

فنلاحظ في الرواية الأولى أن النبي ﷺ خرج من معتكفه ليوصل صفية إلى دارها، وهذا الموقف في حد ذاته يدل على الاحترام والتقدير للزوجة، وإلا كان النبي ﷺ يستطيع أن يقول لها: اذهبي إلى دارك، ولكن الأدب النبوي يعلمنا كيف نتعامل مع زوجاتنا خاصة إذا علمنا أن زوجات النبي ﷺ كلهن يسكن في بيته إلا صفية فقد استأجر لها داراً عند أسامة ؓ، لأنه تزوجها متأخراً، وليس لديه مكان ليسكنها مع باقي الزوجات.

وأما الموقف الثاني فإنه أبلغ في الاحترام والتقدير بأن يثني النبي ﷺ ركبته لتضع قدمها عليها حتى تركب، ففيه بلاغة عظيمة في الاحترام، وإن الغرب اليوم يتفخرون في احترام المرأة فيفتح لها الرجل باب السيارة بينما حبيبنا محمد ﷺ وضع ركبته لزوجته، وهو أعظم من تصرفهم وأبلغ.

فحبيبنا محمد ﷺ يعلم البشرية أسس الاحترام وآدابه^(٣).

ما أجمل أن يكون الاحترام المتبادل بين الزوجين قائماً على الدوام وأن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨١/٤) باب: زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، من كتاب الاعتكاف.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١٢٧/٨).

(٣) زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر - جاسم المطوع (ص ٢٦١-٢٦٢).

يكون عن طيب خاطر وراحة نفس لأنه يصبح مع الزمن أمرًا طبيعيًا، حيث يكون كل منهما حريص على حفظه لشعور الآخر^(١). وهو الذي سيعكس على حياتهما الألفة والمحبة.

ثالثًا: الثناء وحفظ اللسان ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

لما كان البيان هو ما يفصح عن مكنونات النفس ويؤثر في الآخرين وهو ما بينه النبي ﷺ في حديثه: (إن من البيان لسحراً وإن بعض البيان سحر)^(٢).

ومن هنا عني الإسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام وأسلوب أدائه لأن الكلام سبيل للتأثير سلبيًا وإيجابيًا وكانت وصية الله تعالى لعباده ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣). وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٤).

وجعل رسوله ﷺ الكلمة الطيبة صدقة^(٥). وبين أنها سبب في دخول الجنة فقال: (افش السلام وأطب الكلام وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام)^(٦).

(١) بناء الأسرة المسلمة - خالد العك (ص ٢١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٧/١٠) باب: إن من البيان لسحراً، من كتاب الأدب.

(٣) سورة الإسراء: ٥٣.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

(٥) من حديث أخرجه البخاري (١٥٤-٥٢/٦) باب: من أخذ بالركاب ونحوه، من كتاب الجهاد والسير.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤٩٣/٢) والحديث حسن بشواهده.

وجعل الكتاب الكريم الكلمة الطيبة علامة تدل على صاحبها والكلمة السيئة تدل على صاحبها ﴿الْخَيْشَاتُ لِلْخَيْشِينَ وَالْخِشْيُونُ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيَّاتُ لِلطَّيَّينَ وَالطَّيُّونَ لِلطَّيَّاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١).

والكلمة الطيبة سبب لتأليف القلوب ودفع السرور، وكم حلت منمودة وجلبت من محبة وكم حلت من مشكلة وكم دفعت من مبلية، وكم فعلت الكلمة السيئة من إشعال المشاحنات والفتن وهدمت البيوت، وصدق ربنا جلّ وعلا إذ يقول: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٢).

كما بين أن الكلمة السديدة سبب لإصلاح الأمور وتطبيب الأحوال ومغفرة الذنوب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾^(٣).

وإذا كانت هذه الوصايا بإحسان القول لكل أحد قريب أو بعيد فلا شك أنها في حق الزوجين أولى وأوجب فإن دوام العشرة بينهما لا يتحقق إلا بالكلمة الطيبة التي تعبر عن مكنونات النفس والشعور.

ولعل من أهم صور الكلم الطيب بين الزوجين الثناء الحسن والتذكير بالخير السابق والمناقب والمحامد خاصة في مواقف لا تطيب إلا بالكلام الطيب فإنه أدعى لحدوث الطمأنينة واستجلاب الألفة وقد ضربت أمنا

(١) سورة النور: ٢٦.

(٢) سورة فصلت: ٣٤-٣٥.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

السيدة خديجة رضي الله عنها أروع الأمثلة في ذلك مع رسول الله ﷺ وقد جاءها بعد بدء نزول الوحي عليه خائفاً مرتعباً يرجف فؤاده وهو يقول: (زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة رضي الله عنها وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.. الحديث) (١).

نعم لقد اختارت خديجة رضي الله عنها الكلمات التي تذهب روعه عليه الصلاة والسلام فسكنت نفسه وهدأت بل دفعته ليستقبل هذه الدعوة بعد فضل الله تعالى كما أراد الله.

تقول المؤرخة عائشة بنت الشاطئ: «هل كان لزوج عداها أن تستقبل دعوتها التاريخية من غار حراء بمنزل ما استقبلته هي به من حنان مستثار، وعطف فياض، وإيمان راسخ، دون أن يساورها صدقه أدنى ريب، أو يتخلى عنها يقينها في أن الله عز وجل غير مخزيه أبداً؟

هل كان في طاقة سيدة غير خديجة، غنية مترفة منعمة، أن تتخلى راضية عن كل ما ألقت من راحة ورخاء ونعمة لتقف إلى جانبه في أحلك أوقات المحنة.. كلا.. بل هي وحدها التي من الله عليها بأن ملأت حياة الرجل الموعود بالنبوة» (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢/١) باب: ٣، من كتاب بدء الوحي، ويف (٧١٥/٨) باب: سورة اقرأ، من كتاب التفسير. وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣٩/١-١٤٢) باب: الوحي إلى رسول الله ﷺ، من كتاب الإيمان.

(٢) نساء النبي ﷺ - عائشة بنت الشاطئ (ص ٥٥) دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان

١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

وكذلك ضرب رسولنا ﷺ المثل الكامل للأزواج في حسن الثناء على الزوجة والتذكير بمناقبها حتى بعد وفاتها وهو مع زوجة أصغر منها ويحبها لكنه لا ينسى الثناء الدائم على السيدة خديجة رضي الله عنها، يبقى يذكرها ويذكر فضلها وتضحياتها، ونتبين ذلك من قوله للسيدة عائشة رضي الله عنها عندما أتت عليها فقالت: «ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين قد أبدك الله خير منها»، فقال: (ما أبدلني الله خيراً منها قد آمنت ببي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الأولاد منها)^(١).

إنها صور رائعة في الثناء بين الزوجين بذكر المحامد في أوقات الشدة فكيف بوقت الرخاء الذي لابد أن يكون فيه التعبير عن المشاعر والطيب من القول وعدم الاشتغال بقالة السوء ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢).

فضببط اللسان بضوابط الشرع وحفظه عن النطق عما يوجب له التهلكة واجب شرعي يضمن طيب العيش في الدنيا والفوز بالآخرة قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ * إِنَّ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَغْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً^(٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده

وحمراء الشدقين/ أي التي سقطت أسنانها.

(٢) سورة النساء: ١١٤.

(٣) سورة النساء: ١٤٨-١٤٩.

وقال: ﴿وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(١). ويقول: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢). ويقول عليه الصلاة والسلام: (من ترك الكذب وهو باطل بنى له في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى له في وسطها، ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها)^(٣).

ويقول: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)^(٤).

وغيرها الكثير من نصوص الشريعة التي لو وقف عندها الزوجان لطابت حياتهما بطيب الكلام بينهما وحسنت العشرة واستدامت، فإن الكلمة الطيبة بينهما تعمل عملها في تحقيق التقاهم حتى يشعر كل من الزوجين أنه بحاجة للآخر ليستكمل سعادته فإن الطريق إلى قلب كل منهما للآخر أن يدعه يدرك قيمته ولا ينكرها.

رابعاً: اتقان فن التغافل.

والتغافل غرض الطرف عن الهفوة وإقالة العثرة وعدم تتبع الأخطاء والوقوف عندها طويلاً فإن الحصول على زوج أو زوجة خالية من العيوب والأخطاء أمر لا يمكن أن يحدث فأى الناس تصفو مشاربهم، ورحم الله من قال: «وجدنا خير عيشنا في التغافل».

(١) سورة لقمان: ١٩.

(٢) سورة الفرقان: ٦٣.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٨/٤) باب: ما جاء في المراء، من كتاب البر، وقال حديث حسن.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٠/٤) باب: ما جاء في اللعنة، من كتاب البر. وقال حديث حسن غريب. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ١١٧). وأخرجه أحمد في المسند (٤٠٥/١).

فعلى كل منهما أن يتذكر ما لدى الآخر من الخير ويغض عن السوء، فإن الإنسان مهما نقب عن إنسان كامل فلن يجد من يبرأ من كل الشوائب والعيوب.

يقول النبي ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر) ^(١)، وهي كذلك إن كرهت منه خلقا رضيته منه آخر فاحتمال كل منهما للآخر وقبوله بما فيه كفيل باستمرار الحياة بينهما.

خامساً: ومن حسن العشرة الطيبة عدم قيام أي طرف بتكليف الطرف الآخر ما لا يطيق وهي القاعدة الإلهية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ^(٢)، فإن ذلك كفيل باستمرار الود والحب والمودة والرحمة، فالأسرة في نظر الإسلام ليست مؤسسة اقتصادية ولا مؤسسة سكن بالمعنى الحرفي فحسب، لكنها تنظيم يهيء الجو الملائم لحياة الإنسان حياة مريحة يشبع من خلالها كل من الزوجين حاجاته النفسية إلى الحب والأمن والتقدير وإثبات الذات والتعبير عنها، والحاجة إلى الذرية الصالحة، والحاجة إلى المودة والرحمة إلى جانب إشباع الحاجات المادية ^(٣).

ومن الجميل أن نذكر هنا بذلك الفهم العميق لابن عباس رضي الله عنهما لحسن العشرة النفسية والجمالية فيقول: «إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾» ^(٤)، فالعلاقة الزوجية تمتد إلى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٩١/٢) باب: الوصية بالنساء، من كتاب الرضاع.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) بناء المجتمع الإسلامي ونظمه - د. نبيل السمالوطي (ص ٨٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (١٥٩/٦).

ما هو أبعد من الماديات إلى العلاقة النفسية العميقة التي عبرت عنها النصوص الشرعية بمصطلحات السكن والمودة والرحمة واللباس والميثاق الغليظ.

• الفصل الثالث: القيمة الغلظية الثالثة: تعقيق المودة بينهما:

الحب هو ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرا وقيل المحبة إفراط الرضا وهي الميل إلى ما يوافق المحب^(١). وقيل الحب معنى أخص من الرضا وأعمق أثرا فقد يرضى الإنسان بالشئ أو يرضى عن الشخص ولا يفضي ذلك إلى حبه وتعلق القلب به فإن ذلك شأن الحب لا شأن الرضا.

والإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولذا فإنه لا ينفي هذه العاطفة بين الناس ولا تأثيره وإنما هو يوجهها لتكون في مسارها الصحيح الذي يبلغ بحيلة الناس العيش الهني قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

قال القرطبي في تفسيره^(٣): «المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضه على بعض وقال السدي: المودة المحبة. وعن ابن عباس: المودة حب الرجل امرأته».

فإن الله تعالى بنى العلاقة الزوجية على أساسين: المودة والرحمة، فالمودة

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٣٣٢٦/٨) لمجموعة من العلماء - دار الوسيلة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

(٢) سورة الروم: ٢١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/١٤).

(المحبة) إذا تمت بين الزوجين تمت السعادة واكتمل التوافق، فإن الحب يقضي على كل نقص ويغطي كل عيب^(١).

غير أنه ينبغي أن ننبه لأمر وهو أن المودة في الحياة الزوجية تنمو وتكبر مع دوام العيش وطيب العشرة والتفاهم وبذل كلا منهما ما يطيب قلب الآخر ويلبي احتياجاته.

والمتتبع لحديث النبي ﷺ في هذا الباب (المودة) ليطمئنه العجب من الوسائل والطرق التي يمكن أن نستنبطها من تلك النصوص لتعميق عاطفة الحب بين الزوجين.

فالتعبير عن المحبة من كل طرف من أهم الطرق للوصول إلى قلب الآخر، ولقد بلغ التعبير من رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها أن ذكره حبه لها أمام ابنته فاطمة رضي الله عنها في قصة مطولة روتها السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع في مرطبي، فأذن لها، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكتة.

قالت: فقال لها رسول الله ﷺ: أي بنية ألت تحبين ما أحب؟

قالت: بلى.

فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدا.

قالت عائشة رضي الله عنها: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش

(١) الحب والعاطفة للسعادة الزوجية الهادفة - فؤاد صالح - مكتبة السوادى للنشر

والتوزيع ١٤٢٤هـ.

إلى رسول الله ﷺ، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ في المنزلة عند رسول الله ﷺ، لم أر امرأة في الدين خيرا من زينب وأتقى الله عز وجل وأصدق حديثا وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به ويقرب.. ما عدا سودة من حدة كانت فيها، تسرع منها الفئنة. فاستأذنت على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ مع عائشة رضي الله عنها، في مرطها، الحال التي كانت دخلت فاطمة رضي الله عنها عليهما فيه..

فإذن لها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة.

ووقعت في، واستطالت، وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأراقب طرفه هل أذن لي فيها؟! فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن انتصر، فلما وقعت بها لم أنشب حتى أثخننها، فقال رسول الله ﷺ: (إنها ابنة أبي بكر)^(١).

بل كان المسلمون يعلمون هذه المحبة إذ يبعثون بالهدايا في يوم عائشة فعن عروة رضي الله عنه أنه قال: كان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كان عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ، أخرها حتى إذا كان رسول الله ﷺ في بيت عائشة، بعث صاحب الهدية إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة (وفي رواية: إن الناس كانوا يتحرون بهدياتهم يوم عائشة يبتغون بها - أو يبتغون بذلك - مرضاة رسول الله ﷺ)^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٢/٥) باب: من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض، من كتاب العتق.

(٢) المرجع السابق (٢٤٣/٥).

وإذا وقفنا عند قول أمنا عائشة رضي الله عنها: (كنت ألعب بالبنات (تقصد العرائس) عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن إلى فيلعبن معي)^(١) وقولها: (والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحراهم، في مسجد رسول الله ﷺ، يسترني بردائه، لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي، حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، حريصة على اللهو)^(٢).

نرى أن من المحبة مراعاة الحاجة النفسية والعمرية للزوجين.

وفي موقف آخر يعلمنا رسولنا ﷺ أن من وسائل التودد جبر الخاطر والمواساة ودعم المشاعر والعواطف للزوجة، فعن صفية بنت حيي أن النبي ﷺ حج بنسائه فلما كان في بعض الطريق نزل رجل فساق بهن فأسرع، فقال النبي ﷺ كذلك سوقك بالقوارير يعني النساء، فبينما هم يسرون برك لصفية بين حيي جملها، وكانت من أحسنهن ظهرا، فبكت وجاء رسول الله ﷺ حين أخبر بذلك فجعل يمسح دموعها بيده وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها، فلما أكثرت زبرها وانتهرها وأمر الناس بالنزول فنزلوا، ولم يكن يريد أن ينزل، قالت فنزلوا وكان يومي، فلما نزلوا ضرب خباء النبي ﷺ ودخل فيه، قالت: فلم أدر علام أهج من رسول الله ﷺ وخشيت أن يكون في نفسه شيء مني، فانطلقت إلى عائشة فقلت لها: تعلمين أنني لم أكن أبيع يومي من رسول الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٦/١٠) باب: الانبساط إلى الناس، من كتاب الأدب. وأخرجه مسلم في صحيحه (١٨٩٠/٤، ١٨٩١) باب: فضل عائشة رضي الله عنها، من كتاب فضائل الصحابة. وقولها: يتقمعن، الانقماح الدخول في بيت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٩/٢) باب: الرخصة في اللعب، من كتاب صلاة العيدين.

ﷺ بشيء أبداً، وإني قد وهبت يومي لك على أن ترضي رسول الله ﷺ عني، قالت نعم، فأخذت عائشة خماراً لها قد بردته بزعفران فرشته بالماء ليزكي ريحه، ثم لبست ثيابها، ثم انطلقت إلى رسول الله ﷺ فرفعت طرف الخباء: فقال لها: ما لك يا عائشة؟ إن هذا ليس يومك؟

قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء^(١).

وإنه لموقف جميل من الحبيب محمد ﷺ مع زوجته حين مسح دمعها بيده ثم أمر الناس بالوقوف والنزول، علماً بأنه لم يكن يريد أن ينزل، ولكنه من أجل زوجته نزل فخشيت أن يكون في نفسه شيء، فنسقت صافية مع عائشة من أجل إرضائه^(٢).

والأمثلة كثيرة جداً في التأكيد على أن بناء هذه العاطفة بين الزوجين تحتاج إلى تقديم كل ما يمكن أن ينميها، وأن يحب كل منهما للآخر ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها، وهذا هو الميزان الذي إن سار في أوصال التعامل بين الزوجين كان مفتاح الخير والسعادة.

والإسلام الذي ينظر إلى البيت بوصفه سكناً وسلاماً وإلى العلاقة القائمة على أساس المودة والأنس، ويقيم هذه العلاقة على أساس الاختيار المطلق، لكنه يأبى أن تنفصم عر هذه العلاقة لأول ما يعكر صفوها، فيقول معلقاً النفس بالله حتى لا تكون العلاقة الزوجية ريشة في مهب الريح وإنما هي متعلقة بميثاق ربط بين قلبين يؤمنان بالله ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣).

إن الإسلام لينظر إلى العشرة المرضية وذلك الرباط المقدس والميثاق

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٣/٢-١٤٤).

(٢) زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر - جاسم المطوع (ص ٢٤٩).

(٣) سورة النساء: ١٩.

العظيم وأنه هو الذي يقيم البيوت إن لم يوجد الحب بين الزوجين .
وما أعظم قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل أراد أن يطلق زوجته، لأنه لا يحبها: «ويحك! ألم تبني البيوت إلا على الحب؟ فأين الرعاية وأين التذمم؟!».

وما أتقه الكلام الرخيص الذي ينطق به المتحذلقون باسم الحب وهو يعنون به نزوة العاطفة المتقلبة، ويبيحون باسمه - لانفصال الزوجين وتحطيم المؤسسة الزوجية - بل خيانة الزوجة لزوجها! أليست لا تحبه؟ وخيانة الزوج لزوجته! أليس أنه لا يحبها؟! وما يهيج في هذه النفوس التافهة الصغيرة معنى أكبر من نزوة العاطفة الصغيرة المتقلبة، ونزوة الميل الحيواني المسعور. ومن المؤكد أنه لا يخطر لهم أن في الحياة من المروءة والنبيل والتجمل والاحتمال، ما هو أكبر وأعظم من هذا الذي يتشذقون به في تصور هابط هزيل. ومن المؤكد طبعاً أنه لا يخطر لهم خاطر لذكر الله تعالى، فهم بعيدون عنه في جاهليتهم المزوقة! فما تستشعر قلوبهم ما يقوله الله للمؤمنين: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

إن العقيدة الإيمانية هي وحدها التي ترفع النفوس وترفع الاهتمامات، وترفع الحياة الإنسانية عن نزوة البهيمة، والطمع، وتفاهة الفارغ! (١).

إن التاريخ الإسلامي ليجوي الكثير من نماذج البيوت الزوجية التي تمت المودة والعاطفة بين أصحابها ويأخذ باللبابنا حين نقرأه ونسمع عنه بسعادة تلك البيوت.

ولقد كان الرجل منهم على ما يمتلك من صفات الرجولة غير أنه يعلم

(١) بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة - خالد العك (ص ٢٨١).

أن من الرجولة احتواء زوجته عاطفة، والمرأة وهي الكريمة في النسب الرفيعة في الحسب لكنها تعلمت أن كمال الأنوثة فيما تمنحه زوجها من المودة والتعلق.

وأصدق من يمتلك ذلك بعد بيوت رسول الله ﷺ. بيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعمر الشجاع الحازم الصريح الخشن المطيع الغيور الشرف السريع النجدة المحب للنظام المؤمن بالواجب والحق والموكل بالإنجاز العارف بالتبعات والمسؤوليات^(١).

غير أنه في بيته قلب وديع مفعم بالعطف والمودة، مفتاح الجوانب لكل عاطفة كريمة لا تكون إلا من ولي حميم ففساؤه اللائي عاشرنه قد كلفن بحبه ورضين عيشه لرضاهن بمودته وعطفه، وكانت إحداهن التي سميت العاصية وسماها النبي عليه الصلاة والسلام الجميلة لا تطيق فراقه، فإذا خرج مشى معه إلى باب الدار فقبلته ولم تزل في انتظاره.

وكانت من نسائه عاتكة بنت زيد، وهي على قسط وافر من الجمال ومن الدين ومن البلاغة، تولعت^(٢) في رثائه حين قتل فلم يكن بكاؤها عليه كبكاء كل زوجة على كل زوج فقيد، وتعددت قصائدها في تأبينه بكلام لا يغيب عنه صدق المدح ولا صدق الحسرة، وهي التي قالت فيه:

عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المنتاب والمحروب

(١) عبقرية عمر - عباس محمود العقاد (ص ٤٨) درا نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة.

(٢) تولعت: شدة الحزن من شدة الوجد، وقيل: ذهب العقل لفقدان الحبيب.
لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور - دار الفكر للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب^(١)
وقالت فيه:

رءوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات منيب
متى ما يقل لا يكذب الله قوله سريع إلى الخيرات غير قطوب
وقالت فيه:

جسد لفف في أكفاته رحمه الله على ذاك الجسد
وقالت فيه:

يا ليلة حبست على نجومها فسهرتها والشامتوت هجود
قد كان يسهرني حذارك مرة فاليوم حق لعيني التسهيد
ولا يبكي المرأة الرجل هذا البكاء على ما في عيشه من الشظف إلا
ومن أن وراء خشونته مودة قلب تنفذ إلى القلوب^(٢).

وبر بربيات البيوت لم يدركه متحذقة العصر الذي يلغطون بالحب في
الزواج ويجهلون أن الرعاية والتذمم آمن بالدوام والتعمير^(٣).

• الفصل الرابع: القيمة الخلقية الربعة: الرحمة أساس ودعامة للحياة الزوجية المنية:

الرحمة: أصل من أصول الخلقية وکلياتها العامة، والرحمة هي رقة في

(١) شعوب: المنية (الموت) لأنها تفرق لسان العرب - لابن منظور (٥٠١/١).

(٢) المرجع السابق (ص ١٨٢، ض ١٨٧).

(٣) المرجع السابق (ص ١٨٧) بتصرف.

القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر. فهي مشاركة الكائن الحي لغيره في مثل آلامه ومسراته والشعور بمثل مشاعره ولا يشترك في المماثلة التساوي في المقدر وإنام يكفي فيها المشاركة العامة في الألم أو المسرة^(١).

وقيل في تعريفها: هي خلق مركب من الود والجزع والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه لراحمه خلة مكروهة، فالرحمة هي محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رحم.

وقيل: هي الرفق مع البذل والإحسان.

وقيل: هي صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقت عليه^(٢). وقد كثرت النصوص الشرعية في الحث على خلق الرحمة ومنها قوله ﷺ: (أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال)^(٣). وقال: (لا تتزع الرحمة إلا من شقي)^(٤). وفي رواية:

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها - عبد الرحمن حنيفة الميداني (ص ٣١١-٣١٢) مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢٠٦١/٦-٢٠٦٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٩٧/٤) باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا، من كتاب الجنة ضمن رواية مطولة.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٢/٢). وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم ٣٧٦. وأخرجه أبو داود في السنن، باب: في الرحمة، من كتاب الأدب.

(الراجمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^(١).

بل إن من رائع الشرع الحكيم التي تحت على الأخذ بفضيلة خلق الرحمة أنها توسع دائرة الرحمة حتى تشمل العالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

فإن تكون بين الزوجين أحق وأوجب ولهذا قال ربنا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٣)، قال ابن عباس: والرحمة رحمته إياها أن يصيبها سوء^(٤).

فالرحمة بين الزوجين منبع كريم يفيض بالإحسان والعطاء يجلب خيرا ويدفع سوءا، وتحقق ذلك يقتضي معاملة كل منهما للآخر بمجموعة من الأخلاق منها:

البذل والعطاء:

والبذل قد يكون ماديا ومنه ما يكون عل سبيل الوجوب كنفقة الرجل على زوجته وقد دلت النصوص الشرعية على أنها واجبة قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣٢٤-٣٣/٤) باب: ما جاء في رحمة المسلمين، من

كتاب البر... وقال حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٣) سورة الروم: ٢١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/١٤).

﴿أَمْوَالِهِمْ﴾^(١). ويقول: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُيْسِفْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٢). وفي السنة المطهرة عن معاوية بن حيدة عن أبيه قال: قلت يا رسول الله ﷺ ما حق زوج أحدنا عليه؟ قال: (تطعمها إذا أكلت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تشرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت)^(٣). وعن أبي هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ: (خير الصدقة ما كان منها عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول» فقيل: من أعول يا رسول الله؟ قال: «امراتك ممن تعول، تقول: أطعمني وإلا فارقني، وجاريتك تقول: أطعمني واستعملني، وولدك يقول: إلى من تتركني)^(٤) فهذه النصوص وغيرها كثير تشير إلى أن البذل بالنفقة على الزوجة واجبة سواء أكانت غنية أم فقيرة وسواء أكانت في حال صحتها كما بينا في حقوق الزوجة على زوجها وأداء الواجب لا يخرج إلا من قلب مملوء إيماناً والإيمان يورث الرحمة كما يورث غيرها من الأخلاق الحميدة فانه جل وعلا امتدح أصحاب النبي ﷺ وهم أكمل الناس إيماناً بما بينهم من الرحمة فقال تعالى: ﴿تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) سورة الطلاق: ٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٦/٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩٤/٣) باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى، من كتاب الزكاة. وأخرجه مسلم في صحيحه (٧١٧/٢) باب: أن اليد العليا خير.... من كتاب الزكاة.

أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^(١).

ومن الرحمة بذل المرأة وعطاؤها لزوجها في حالة احتياجه وقدرتها على ذلك محتسبة الأجر من الله تعالى فعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: (انطلقت إلى النبي ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة. فخرج علينا بلال فقلنا له: أنت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حورهما ولا نخبره من نحن، فدخل فسأله فقال: من هما؟ قال: زينب، قال: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله، قال: نعم، لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة)^(٢).

والإسلام لا يقتصر في دعواه للبدل والعطاء على الجانب المادي بل يتعداه ليشمل الجانب المعنوي فمن البدل والعطاء المعنوي بين الزوجين التعاون على البر والتقوى إنفاذاً لوصية الله تعالى للمؤمنين أجمعين ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣).

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٣٢٨) باب: الزكاة على الزوج والأقارب، من كتاب الزكاة. وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/٦٩٤-٦٩٥) باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين، من كتاب الزكاة.

(٣) سورة التوبة: ٧١.

فتعليم أحدهما الآخر ما هو بحاجة إليه خاصة في أمور الدين من خير وجوه البذل والإحسان قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١). فوصية الله أن يأمر نفسه وأهله من زوجة وولد وإخوان وجميع من يعول بما يبعدهم عن النار فيعلمهم ويؤدبهم ويساعدهم فعن جويرية، أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصب، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: (لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت^(٢) بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)^(٣).

ومن البذل والعطاء بين الزوجين تلمس الحاجات وقضاءها بصدر رحب وسماحة نفس فقد كان النبي ﷺ لا يرى في بيته إلا ضاحكا باسمًا وكان يمضي الوقت في خدمة أهله يخصف نعله ويرقع ثوبه وإذا كانت الوصية النبوية في البذل والعطاء: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس)^(٤).

فلا يليق إذا بالزوج أو الزوجة أن ينال الناس نفعهما المادي أو المعنوي

(١) سورة التحريم: ٦.

(٢) يعني جميع ما سبحت بهن.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٩/٤) باب: التسبيح أول النهار وعند النوم، من كتاب الذكر والدعاء.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٥٣/١٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٩٠٣.

ويحرم رفيق الدرب والحياة ولهذا قال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)^(١).

ومن أخلاقيات الرحمة:

الرفق وهو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف^(٢)، وفي أصل اشتقاقه يدل على موافقه ومقاربه بلا عنف^(٣).

وهو فضيلة يأمرنا بها رسول الله الرحمة ﷺ في أحاديث كثيرة يشير فيها إلى أن الرفق من الأخلاق التي يحبها الله تعالى من عباده فقال: (إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه)^(٤). ويخبرنا أن الرفق وصية الله تعالى بأن يكون سلوكنا في سائر شؤون الحياة (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)^(٥). كما أنه ﷺ يؤكد أن الرفق هو ملاك الخير كله: (من أظى حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة)^(٦).

ولما كان الرفق هو نتاج ضبط النفس عن الغضب يدفع إليه خلق الرحمة والمشاركة الوجدانية فخير ما يكون الرفق متحققا في البيت فعن

(١) سبق تخريجه.

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٢١٥٧/٦).

(٣) لسان العرب لابن منظور (١١٨/١٠).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٠١/٤-٢٠٠٢) باب: فضل الرفق، من كتاب البسر والصلة.

(٥) المصدر السابق.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٥٩/٦)، والبيهقي في شرح السنة (٧٤/١٣) وحسنه.

عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: (يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا دلهم على باب الرفق) (١).

ولقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الرفق في معاملة نسائهم، ويربيهم على أن يرفقوا بهن ويحسنوا إليهم إذا خلوا بهم في بيوتهن، وبين له ﷺ أنه ليس من الدين، ولا من المروءة أن يكون الزوج من زوجه على حالين، حال بالنهار، وحال بالليل ففي حديث عبد الله بن زمعه الذي رواه البخاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب فذكر النساء، ووعظ بهن فقال: يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها آخر يومه (٢).

ولقد كان رسولنا ﷺ مع انشغاله بشأن الأمة وتبليغ الرسالة لا يألو جهدا مطاوعة خواطر زوجاته رفقا بهن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف غضبك. قالت: قلت: وكيف تعرف ذاك يا رسول الله؟ قال: إنك إذا كنت راضية قلت: بلى ورب محمد، وإذا كنت ساخطة قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: قلت: أجل. لا أهرج إلا اسمك (٣).

ولقد بلغ رفيقه ﷺ غايته حين أوصى بمعاملة المرأة بما يتناسب مع طبيعتها، فعن أنس بن مالك ؓ قال: أتى النبي ﷺ على بعض نسائه ومعهن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٠٢/٤) باب: فضل الرفق، من كتاب البر والصلة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٢/٩) باب: ما يكره من ضرب النساء، من كتاب النكاح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٦/٩) باب: غيره النساء، من كتاب النكاح - وأخرجه مسلم في صحيحه (١٨٩٠/٤) باب: فضل عائشة رضي الله عنها، من كتاب فضائل الصحابة.

أم سليم. فقال: ويحك يا أنجش رويدك سوقا بالقوارير^(١) أي سوق سوقا رفيقا يليق بهن، فإنهن يشبهن القوارير رقة ولطافة.

ومن رفقته ﷺ أنه كان يتحدث منازواجه بما يحبين، ويناديهن بما يطيب لأسماعهن. خاصة عائشة رضي الله عنها إذ كانت أصغرهن، فكان يكثر من ملاحظتها على هذا. فإذا تحدث إليها خاطبها قائلاً: يا عائش. قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله ﷺ يوماً: يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام^(٢).

وأحاديثه ﷺ مع زوجاته في جبر الخاطر والتودد ومراعاة الحال واحتمال الغيرة والصبر على طلب النفقة وغيرها مما يضيق المقام بذكره هنا خير دليل على لزومه ﷺ حال الرفق بهن حتى بلغ بهن حالة الرضى عن حياتهن معه عليه الصلاة والسلام والتي عبر عنها الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ بِمَا أَتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾^(٣).

ومن أخلاقيات الرحمة المداراة:

ومعناها الملاينة والملاطفة وخفض الجناح للناس ولين الكلام وترك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٤٧/١٠-٤٤٩) باب: ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، من كتاب الأدب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٤/٧) باب: فضل عائشة رضي الله عنها، من كتاب فضائل الصحابة.

(٣) سورة الأحزاب: ٥١.

الإغلاظ لهم في القول وقيل: هي الدفع برفق^(١). ولاسيما لمن نحتاج إلى تأليف قلبه وقيل: هي ترك المحاراة وهي دليل كما العقل وحين الخلق ومعنى جميل خاصة إذا تخلق الإنسان به مع زوجته أو ابنائه فهو ضمان لاستمرارية العلاقة، ولو عرف المتزوجون في واقعنا المعاصر هذا الخلق لما ازدادت حالات الطلاق والمشاكل الأسرية، لأن المدارة تغلفها إلا إذا حصلت مشكلة كبيرة، وإن المتتبع لهدى الحبيب محمد ﷺ يجده خير مثال في مداراة زوجاته^(٢).

ومن ذلك مداراته لزوجته حفصة رضي الله عنها فعن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: (أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقل عند حفصة: لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها.

قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها.

فقالت حفصة: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(٣).

فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾^{(٤)(٥)}.

ونلاحظ هنا كيف دارى النبي ﷺ حفصة بالرد عليها، ولم يقل في نفسه:

(١) موسوعة نضرة النعيم - لمجموعة من العلماء (٣٢٥٨/٨).

(٢) زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر - جاسم المطوع (ص ١٥٥).

(٣) سورة مريم: ٧١.

(٤) سورة مريم: ٧٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٤٢/٤) باب: من فضائل أصحاب الشجرة، من كتاب فضائل الصحابة.

إنني أنا النبي المشرع فكيف تردين علي في موضوع أنا مختص به أكثر منك، وإنما تعامل النبي ﷺ مع الحدث على أنه مرب ومعلم، ولهذا نلاحظ في النص أن النبي ﷺ انتهرها عندما تكلمت من غير دليل، فعندما قالت له: بلى يا رسول الله، انتهرها، ولكنها عندما ذكرت له الدليل ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ نلاحظ أن النبي ﷺ رد عليها بلطف ومن غير أن ينتهرها بقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾، فيظهر من هذا الموقف مداراة النبي ﷺ لحفصة رضي الله عنها^(١).

وكذلك تمثل أصحابه رضي الله عنهم بهذا الخلق فكان رحمة لهم من الوقوع في كثير من مواجهة المشاكل الأسرية، فهذا عبد الله بن رواحة ؓ تراه زوجته مع جارية له.. يقول: إنه أصاب من جارية له، فنددت به امرأته، فأخذت شفرة، ثم أتته، فوافقته قد قام منها، قالت: أفعلتها يا ابن رواحه؟

قال: ما فعلت شيئا.

قالت: لتقرأن قرأنا أو لأبعجنك بها!

قال: ففكرت في قراءة القرآن وأنا جنب، فهبت ذلك، وهي امرأة غيري، وبيدها شفرة، ولا آمنها، فقلت:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق مشهور من الصبح ساطع

ببيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالكافرين المضاجع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

(١) زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر - جاسم المطوع (ص ١٢٣).

فألقت السكين وقالت: آمنت بالله، وكذبت البصر.

فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فضحك، وأعجبه ما صنعت^(١).

فالمدارة حكمة في التعامل مع كثير من المواقف التي قد تواجه الزوجين يحفظان بها الود والمحبة وتدوم بها العشرة. قال ابن حبان رحمه الله: «من التمس رضا جميع الناس التمس ما لا يدرك» ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بدا وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستبجها واستقباح أشياء كان يستحسنها ما لم يكن مأثما فإن ذلك من المدارة، وما أكثر من دارى فلم يسلم فكيف توجد السلامة لمن لم يداري^(٢).

ومن أخلاق الرحمة العفو؛ وهو كف الضرر مع القدرة عليه والعفو وصية الله تعالى للمؤمنين فيما بينهم من العلاقات والمعاملات التي قد يحدث فيه تجاوز وتقصير وعده سبيل الوصول للإحسان فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣). (٤). وبلاغ لمرتبة التقوى فقال: ﴿وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾^(٥).

وهو من أعظم الأبواب التي تجلب المودة والمحبة قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٦).

(١) مداراة الناس - لابن أبي الدنيا (ص ١٣٤-١٣٦) باختصار.

(٢) موسوعة نضرة النعيم - لمجموعة من العلماء (٣٣٦/٨).

(٣) سورة المائدة: ١٣.

(٤) موسوعة نضرة النعيم - لمجموعة من العلماء (٨٩٢/٧).

(٥) سورة البقرة: ٢٣٧.

(٦) سورة فصلت: ٣٤-٣٥.

وأبلغ من العفو الصفح لكن الإنسان قد يعفو ولا يصفح والصفح أن نولي المخطئ صفحة جديدة جميلة^(١).

وما أعظم أن يكون هذا بين الزوجين ولقد كان رسولنا ﷺ قدوة للأزواج في ذلك فإنه عليه الصلاة والسلام لما اعتزل نساءه شهراً ثم عاد، عاد ولم يعاتب ولم يذكر بما جرى وإن عفا وصفح^(٢).

• الفصل الخامس: القيمة الأخلاقية الخامسة: السكن (الانتماء الأسري)

شاء الله تعالى أن يجعل في الإنسان شطرين للنفس الواحدة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٣). وأراد باللقاء شطري النفس الواحدة بعد ذلك فيما أراد أن يكون هذا اللقاء سكناً للنفس وهدوءاً للعصب وطمأنينة للروح وراحة للجسد... ثم سترًا وإحصانًا وصيانة.. ثم إيجاداً بأمر الله للنسل وامتداداً للحياة مع ترقئها المستمر في رعاية المحضن الساكن الهادئ المطمئن المستور المصون^(٤). ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٥).

ولهذا فالزواج يجد فيه الإنسان وهذا كل ما يشيع في جنبات البيت

(١) موسوعة نضرة النعيم - لمجموعة من العلماء (٨٩٢/٧) بتصرف.

(٢) تنظر القصة مطولة في تفسير ابن كثير (٣٨٨/٤-٣٩٠) لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ

تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ التحريم: ١-٥.

(٣) سورة النساء: ١.

(٤) دستور الأسرة في ظل القرآن - أحمد فائز (ضص ١٢٩-١٣٠).

(٥) سورة الروم: ٢١.

المسلم من تبادل العواطف والحنان والشعور بالانتماء الذي يجعل كل طرف حريصا على استبقاء العلاقة الزوجية لا يرى عنها بديلا.

ومما يعزز الانتماء لرباط الأسرة فرق ما بق أن ذكرناه من حسن العشرة المودة والرحمة تقبل كل طرف للآخر وقبول ما فيه من الخطأ والنقص والخلل فالكمال البشري لم يكن إلا لرسولنا ﷺ وفي كل من الخير والبر والصفات الإنسانية ما تجعل الطرف الآخر يقبله، وصدق رسولنا ﷺ إذ قال: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر..)^(١).

بل إنه عليه الصلاة والسلام بمواقفه الحكيمة يعلم الأمة كيف يكون التقبل حتى للخطأ حتى لا يتكرر ويكون سلوكا. روى أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت^(٢).

ولقد كان ﷺ يعلم ما تفعل الغيرة بصاحبته، ولهذا قدر بواعثها النفسية لدى عائشة، وأثرها في سلوكها. وقد ذكر ابن حجر^(٣). عن أبي يعلى

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٣٦٣).

(٣) ذكره في الفتح (٣٢٥/٩) وقال إسناده لا بأس به وحسن محققوه إسناده الحديث وذكروا أن ابن حجر حسنه في الفتح.

مرفوعاً: «أن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه»^(١). ولعلها حين انقشعت عن عينيها غمامة الغيرة ندمت على ما بدر منها، فما كان أن سألته ﷺ عن كفارة ما صنعت، فقال: (إناء مثل إناء، وطعام مثل طعام)^(٢).

وبهذا المسلك الحكيم وضع ﷺ حداً لانفعال لم يلتزم به الإناء المكسور، ولن يصلح به الطعام المهراق. كما تلافى به أثراً نفسياً لدى صاحبة الطعام، وقطع الطريق على ملاحاة كان يمكن أن تنشأ بين صاحبة القصة وبين عائشة كرد فعل لهذا السلوك الانفعالي^(٣).

ومن التقبل قبول أحدهما لمشورة الآخر والإصغاء له ففعل في مشورته الخير والصلاح، فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: أن النبي ﷺ لما صالح أهل مكة، وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم، فلما فرغ من قضية الكتاب قال ﷺ لأصحابه: (قوموا، انحروا ثم احلقوا).

قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قالها ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة - رضي الله عنها - فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا نبي الله أتحب ذلك!! أخرج ولا تكلم أحداً حتى تتحرر بدنك وتدعو حالقك فيحلق لك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً^(٤).

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٦٧٠/٨) ورجاله ثقات إلا محمد بن إسحاق مدلس وقد

عنن [انظر مجمع الزوائد للهيتمي (٣٢٢/٤)].

(٢) مسند أحمد (١٤٨/٦).

(٣) بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة - خالد العك (ص ٩٠-٩١).

(٤) أخرجه بتمامه البخاري في صحيحه (٣٨٥/٥) باب: الشروط في الجهاد والمصلحة

مع أهل الكتاب، من كتاب الشروط، وأورده بهذا اللفظ ابن كثير في البداية والنهاية

(١٩٣-١٩٢/٤).

بل إن علو كلمة أحدهما على الآخر لا تكون سببا لهدم العلاقة الزوجية حين يكون التقبل واقعا يعترف بإمكانية التقصير الواقعة من أحد الزوجين، فعن عمر.. (كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذون من ألب نساء الأنصار وصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني قالت: ولم تتكر أن أراجعك فوالله أن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل..)^(١).

بل نقلت لنا السيرة النبوية ما يفوق التصور في التقبل الي يجعل كلا من الزوجين كالآخر، فعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: (إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته، ودخل علي عبد الرحمن (ابن أبي بكر) وببده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيتَه ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمره. (وفي رواية ثانية: فقصمته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به، فما رأيت رسول الله ﷺ استن استننا قط أحسن منه). (وفي رواية ثالثة: فجمع الله بين ريقى وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة)، وبين يدي رسول الله ﷺ ركوة فيهما ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات، ثم نصر يده فجعل يقول: الرفيق الأعلى، حتى قبض ومالت يده)^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١١١١/٢-١١١٣) باب: في الإيلاء واعتزال النساء، من كتاب الطلاق، وانظر تعليق العقاد على الحديث في عبقرية عمر (ص ١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤٦٩/٦) باب: في وفاة النبي ﷺ، من كتاب المناقب.

ومما يحقق الانتماء الأسري التواجد الجسدي والقلبي والروحي من كل من الزوجين للآخر. بل إن التواجد في كل الأحوال والأوقات خاصة تلك التي لا بد من وجود أحد الطرفين فيها ليكون بقرب الآخر من أسباب تحقيق الانتماء الأسري ولهذا كان ﷺ إذا دخل البيت أمضى وقته في خدمة أهله يخصف نعله ويرقع ثوبه. وأمر عثمان بن عفان ؓ بملازمة رقية في مرضها. فعن عثمان بن عبد الله بن موهب في حديث طويل... وأما عثمان بن عفان ؓ فكان تغيبه عن غزوة بدر فإنه كان تحت رقية بنت رسول الله ﷺ مريضة فقال له النبي ﷺ أقم معها ولك أجر من شهد بدرا وسهمه^(١).

فألزمه برعاية الزوجة المريضة والمكث بجانبها وذلك أدوم لإقامة الحب والمودة بينهما ولهذا جعله الشرع مقدما على الجهاد في سبيل الله^(٢). كما أنه ﷺ يعلم أمته أن التواجد للحديث والاستئناس أدوم لاستبقاء العلاقة وتحقيق السكن فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة^(٣).

وكانا يتبادلان الأحاديث والقصص التي تريح النفوس وتدخل عليها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٨/٧) باب: مناقب عثمان بن عفان ؓ، من كتاب فضائل الصحابة.

(٢) الأسرة في ضوء الكتاب والسنة - د. السيد فرج (ص ١٢٣-١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤/٣) باب: الحديث بعد ركعتي الفجر، من كتاب التهجد، وأخرجه مسلم في صحيحه (٥١١/١) باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، من كتاب صلاة المسافرين، وأخرجه أبو داود في سننه (٤٨/٢) باب: الاضطجاع بعدها (أي بعد ركعتي فجر)، من كتاب تفريع أبواب الصلاة.

السرور كقصة أبي زرع الطويلة التي حدثت بها عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فلما انتهت قال لها: كنت لك كأبي زرع م زرع^(١).
هذا السكن والشعور بالانتماء الذي يحرص الشرع الحكيم على تحقيقه بين الزوجين ﴿مَنْ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ هُنَّ﴾^(٢) ليكون لبنة لتحقيق الانتماء للقربى والوكن.

• الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث أشير هنا لأهم النتائج والتوصيات:
أما أهم النتائج فهي:

- ١- أن الحياة الزوجية للأسرة المسلمة تحتاج إلى تطبيق القيم الأخلاقية المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فإن الإسلام كما هو مرجع في العبادات فهو مرجع لجوانب الحياة كلها ومنها الحياة الزوجية.
- ٢- أن القيمة الأخلاقية للحياة الزوجية في الإسلام فن جميل وأدب رفيع يعمل على توطيد المحبة وزيادة الألفة وبقاء الأسرة.
- ٣- إن قيام كل من الزوجين بحقوق الآخر من حسن العشرة بينهما.
- ٤- إن للاحترام الزوجي علامات ومقاييس تدل على الأخذ به وتحقيقه.
- ٥- إن كثيرا من النصوص الشرعية التي تبين القيم الأخلاقية لو وقف عندها الزوجان لطابت حياتهما وحسنت العشرة بينهما.

(١) حديث أبي زرع أخرجه بتمامه البخاري في صحيحه (٢٥٤/٩) باب: حسن المعاشرة مع الأهل، من كتاب النكاح.

(٢) سورة البقرة: ١٨٧.

- ٦- ضرورة تعزيز قيم الانتماء للأسرة فإنها بعد توفيق الله تعالى من أهم الأسباب لاستمرار الحياة الزوجية.
- ٧- الرحمة وهي دعامة للحياة الزوجية ثابتة في أصل تقريرها وما يتفرع عنها من أخلاق وإنما قد تختلف في تطبيقاتها.
- وأما أهم التوصيات فأذكر منها بما يناسب كلا من الزوجين:
- ١- ضرورة تعليم المقبلين على الزواج آداب وأخلاقيات التعامل بين الزوجين وما يتعلق بحياتهما من الأحكام الشرعية.
- ٢- ضرورة تعليم مهارات التواصل الاجتماعي بين الزوجين وكيفية التعامل مع أنماط الشخصية المختلفة إذ كلا من الزوجين من بيئة وثقافة مختلفة، وتعلم مهارات التواصل الاجتماعي تردم كثير من الفجوة، وتقارب بينهما.

• المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- آداب الزفاف - للشيخ ناصر الدين الألباني - دار الفكر - بيروت.
- ٣- الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - ترتيب وتقرير: كمال الحوت - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ٤- الأسرة في ضوء الكتاب والسنة - د. السيد أحمد فرج - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- ٥- الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار الكتاب العربي - بيروت - مصورة من الطبعة المصرية الأولى عام ١٣٥٩هـ.
- ٦- البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي - مكتبة المعارف - بيروت.
- ٧- بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة - خالد عبد الرحمن العك - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٨- بناء المجتمع الإسلامي ونظمه - د. نبيل السمالوطي - درا الشروق للنشر والطباعة - جدة - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٩- تاريخ الأمم والملوك - ابن جرير الطبري - مطبعة الاستقامة - مصر - ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م.
- ١٠- تفسير ابن كثير - المسمى بتفسير القرآن العظيم - المكتب الإسلامي - لبنان - الطبعة الأولى.
- ١١- تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت - دار القلم - الطبعة الرابعة ١٩٦٦م.
- ١٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - د. وهبة الزحيلي - دار الفكر المعاصر - بيروت . الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٣- الجامع الصغير - للسيوطي مطبوع مع صحيح الجامع الصغير وزيادته - نار الدين الألباني.
- ١٤- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان - ابي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - تحقيق: د. عبد الله التركي -

- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ١٥- الحب والعاطفة للسعادة الزوجية الهادفة - فؤاد صالح - مكتبة
السوادي للنشر والتوزيع ١٤٢٤هـ.
- ١٦- حقوق الإنسان في الإسلام - د. رابفة الظهار - دار المأماء للنشر
والتوزيع - آءة - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ١٧- الحقوق الزوجية آءة من بحث منشور بعنوان الحقوق الأسرية
والاجتماعية في ضوء الكتاب والسنة - د. فائق حلواني.
- ١٨- حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة - د. فاطمة نصيف -
مطبعة المءني - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ١٩- دستور الأسرة في ظل القرآن - أحمد فائز - مؤسسة الرسالة -
الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ٢٠- رياضة الأءدان - أبو نعيم أحمد الأصبهاني - دار العصمة - الرياض
- الطبعة الأول ١٤٠٨هـ.
- ٢١- زوجات النبي ﷺ في واقعنا المعاصر - آاسم المطوع - مؤسسة اقرأ
للطباعة والنشر - الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الءدين الألباني - المءتب
الإسلامي - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- ٢٣- السلوك الاجتماعي في الإسلام - حسن أيوب - مكتبة دار المهاجرين
للطباعة والنشر.

- ٢٤- سنن ابن ماجه - أبو عبد الله محمد ابن ماجه - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.
- ٢٥- سنن أبي داود - أبو داود السجستاني - تحقيق: عزت الدعاس - دار الحديث - حمص - الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.
- ٢٦- سنن الترمذي أو الجامع الصحيح - محمد بن عيسى بن سورة - تحقيق: أحمد شاکر ومحمد فؤاد عبد الباقي - الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ/١٩٨١م.
- ٢٧- السنن الكبرى - أحمد بن الحسين البيهقي - دار المعرفة - بيروت - ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ٢٨- سنن النسائي - أحمد بن شعيب النسائي - المكتبة التجارية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.
- ٢٩- السيرة النبوية - ابن هشام - تحقيق: مصطفى السقا وجماعة - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ١٩٨٥م.
- ٣٠- شرح السنة - للإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وعادل أحمد - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٣١- شرح النووي لصحيح مسلم - أبو زكريا محي الدين النووي - المطبعة المصرية الأزهرية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.
- ٣٢- صحيح البخاري (متن فتح الباري) = ابن حجر العسقلاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت وطبعته دار الريان للتراث - القاهرة

- الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - وطبعته دار الريان للتراث - القاهرة.
- ٣٣- صحيح مسلم أو الجامع الصحيح - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ.
- ٣٤- عبقرية عمر رضي الله عنه - عباس محمود العقاد - درا النهضة للطباعة والنشر - القاهرة.
- ٣٥- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور - دار الفكر للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٣٦- المجتمع والأسرة في الإسلام - د. محمد طاهر الجوابي - دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٣٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر - مكتبة القدسي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٥١هـ.
- ٣٨- مداراة الناس - لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا - مطبعة المنار - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ.
- ٣٩- المرأة بين الدين والمجتمع - د. زيدان عبد الباقي (ص ١٣٢) مكتبة النهضة المصرية.
- ٤٠- المستدرك على الصحيحين - أبو عبد الله محمد الحاكم النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٣٤هـ.
- ٤١- مسند أبي يعلى - أحمد بن علي الموصلي - تحقيق: حسين أسد - دار المأمون للتراث - دمشق - الطبعة الأولى ١٤٠٤-١٤٠٥هـ.

- ٤٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل - المطبعة الميمنية - الطبعة الأولى ١٣١٣هـ.
- ٤٣- المعجم الكبير - أبو القاسم سليمان الطبراني - تحقيق: حمدي السلفي - وزارة الأوقاف - سلسلة إحياء التراث - مطبعة الوطن العربي - بغداد - الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
- ٤٤- المغني - لابن قدامة الحنبلي - دار المنار - القاهرة - الطبعة الثالثة.
- ٤٥- من أجل انطلاق حضارية شاملة - د. عبد الكريم بكار - درا القلم - دمشق - الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٤٦- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ - مجموعة من العلماء - دار الوسيلة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ٤٧- نساء النبي ﷺ - عائشة بنت الشاطئ (ص ٥٥) دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ٤٨- نظام الأسرة في الإسلام - د. محمد عقله باختصار وتصرف - الجزء الأول - مكتبة الرسالة الحديثة - الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- ٤٩- الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها - عبد الرحمن حنبلية الميداني مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

